تعريب أم اقتباس ؟

للأستاذ عبد الحق فاضل
(بغداد / العراق)

الذي أريد اليه : هو (تعريب) بمعناه القديم أم الحديث ؟

ذلك بأن المعنَيَيْن قد تعارضا أخيرا وتناقضا في هذه الكلمة الواحدة . فقديما قالوا: عرَّبْت الاسم الاعجمي وأعربته، بمعنى : نطقت به على نهج العرب ، على تعبير المعجم . وبتعبير أوضح : استعملته في عربيتك ونطقته على طريقة لغتك . ومن ثم أطلق اللغويون « المعرَّب » — زنة المظفر — على الدخيل في العربية . أما اليوم فصاروا اذا اقتبسوا الاسماء الاعجمية نطقوا بها على الاغلب على النهج الاجنب ؛ مثل : تلكس وفولت وهونگ كونگ، حتى حين يكتبونها هونغ كونغ .. أي ينطقونها بالحركات المالة الاجنبية والحركات الاجنبية .

ثم تغير معنى (التعريب) حين استعمله بعض المتأخرين بمعنى الترجمة ، فقالوا: هذا الكتاب تعريب فلان ، أو عرَّبه فلان ، أي ترجمه من لغة أعجمية الى العربية . وهذا بطبيعة الحال عكس المعنى السابق الذي يعني اقتباس اللفظ الاعجمي واستعماله في العربية بدلا من ترجمته . والامثل فيما يبدو ، في حالة نقل الكتاب الاجنبي الى العربية ، أن يسمى العمل (تعريبا) اذا عبَّر الناقل عن الفكرة بأسلوبه هو دون تقيّد بتعابير الاصل ، وأن يسمى (ترجمة) اذا التزم بأسلوب الاصل وتعابيره .

وانقلب (التعريب) قلبة أخرى يوم استعملوه في قولهم (تعريب التعليم)، مثلا، بمعنى ترك اللغة الاجنبية في التعليم واحلال

العربية محلها . ولـو سمعها احـد العرب القدامى لتساءل متعجبا : هل المقصود هو التعليم باللغـة الاعجمية مع نطق الفاظها « على منهاج العرب » ؟ ذلك بأن المعنى القديم قد انقلب في اصطلاح (تعريب التعليـم) تماما من (تعريب الاسم الاعجمي) اي استعماله في العربية بمعنـاه الاعجمي مع تحوير نطقه بما يلائم اللسان العربـي ، الى طرد اللغـة الاجنبية واحلال العربية محلّهـا .

وبمـا ان هذا المعنى الاخير المستحدث هـو الشائع الدائر على الالسنة والاقلام اليوم ، وهـو الذي يعرفه ابنـاء الجيل الجديد ، فلستُ اجـد مناصا من الاخذ بـه في حديثي هذا ، ولا اجـد مناصا كذلك من ان استبدل بـ (التعريب) بمعناه القديم كلمـة اخرى ترفع اللبس وتزيل التناقض . ولنقل انهـا (الاقتباس) .

* * *

كثـيرون يقترحون علينا اقتباس المصطلحات الاجنبية كما هـي، بدلا من صوغ الفـاظ عربية تؤدي معناها . بعض هؤلاء من أَجِلّـة العلماء الذين لا شكّ في إخلاصهم للعربيـة وإكبارهم لشأنها . ومـن حُجَجهم ان العلـم صار يتطوّر بسرعة عظيمة، والمصطلحات تتكاثـر، فكلّ يـوم يولد نحو خمسين مصطلحا في مختلف العلـوم والصنايع في مختلف اقطار العالـم . ومن حججهم ايضا ان اقتباس المصطلحـات الاعجمية يساعد الدارس العربـي على فهمها حين يقرؤها في لغـة اجنبية ، بدلا من الاضطرار الى تعلّمها من جديـد . وثالثـة هي ان العرب قد اكثروا من الاقتباس قديمـا، ولا سيما في عصر الازدهـار الحضاري على العهـد العباسي ، وعَـدَّ بعضهم هذا من امارات ذكاء العرب وحسن تدبيرهـم .

وجوابنـا على كثرة المولود يوميا مـن المصطلحات عند الفرنجة، ان معظمه لا شأن لـه بنـا من العلوم التقنية الحديثة التـي لا نعرف عنها شيئا ، او لا نعرف عنهـا الا القليل، والتي سوف نتعلمها ونحتـاج

الى مصطلحاتها بعد ردح من الزمن، لعلّه طويل . كما ان مصطلحات اليوم غير متّفق عليها عند مختلف الامم، مثل اتفاقهم على المصطلحات القديمة التي كانوا يختارون الفاظها من اللغة الاغريقية او اللاتينية، لكيلا تختلط — ولا سيما اسماء المخترعات الحديثة — بالفاظ لغتهم اليومية من قبيل telephon بمعنى Voice a far بالانكليزية اي : صوت من بعيد ، و telegraph بدل script afar اي : كتابة من بعيد .

بل صاروا الآن، لكثرة المخترعات وابتكار الادوات يوميا، يتعجّلون تسميتها ، كلّ بلغة قومه ؛ احيانا يصوغ اسمها الطبيب المشتغل بها، واحيانا المهندس، او حتى العامل . في معجم النفط — مثلا — الذي عُمِلْتُ في وضع مصطلحات عربية للكثير من مصطلحاته الانكليزية ، يطلقون (head : راس) على اجهزة القسم الاعلى من البئر . فهل نسمّيه على مذهب مؤيدي الاقتباس : (هِد) ؟ انا آثرت ترجمة المصطلح بدل اقتباسه، فاخترت له كلمة (الهامة) لانني وجدتها اوفى بالمرام .

واحدى الادوات يسميها المعجم الامريكي (عنزة) . ويبدو ان هذه لم تكن من وضع عالم او مجمع لغوي ، فلعلّها من وضع احد العمال، وَجَدَ راس الاداة او ذيلها او شكلها العام يشبه العنزة في تصوّره . فهل يجب ان نقتبس اسمها (كوت : goat) ثم ننطقها — على منهاج العرب (قوت) بالفتح ، او (جوت) بالنطق المصري ؟ (نسيت الاسم العربي الذي وضعته لها) .

واذا كانت اللغات الافرنجية تتّفق غالبا في الاسماء المصوغة من الاغريقية او اللاتينية، كالذي المحنا اليه ، فان بعضها يتغاير حتى في هذه ، كالالمانية التي تخالف اخواتها الاوروبيات في كثير من هذه المصطلحات المشتركة . فاما المصطلحات التي يصوغها كلّ بلغة قومه فلا يمكن بحال ان نقتبس واحدة منها من لغة الا لنخالف الاخريات .

هـذا الإشكال الذي يبتغي أنصار الاقتباس أن يُجلّوه للعربيـة قد أخذت تعاني منه جميع لغـات الارض ؛ حتى الفرنجـة لم يبق لهـم محيـد عن الترجمة ، كل الى لغتـه : الفرنسيون يترجمون الـى لغتهـم المصطلحات المستحدثة في الانكليزية والالمانيـة والروسية ، والانكليز يترجمون الى لغتهـم ما استُحدِث منها في الفرنسية والالمانيـة والايطالية ، الـخ ... ولا سبيل للعربية تسلكه غير هذا السبيل ، مثلهن ، اي الترجمة ، بـل التعريب ـ وان بين الكلمتين لَفَرْقـًا نَوَّهْنـا بشيء منه آنفـا ، وسيعود الينا نموذج منه بعـد ـ

وبالاضافـة الى اختلاف اللغات في الفاظ المصطلحات نذكـر أن اللغـة الواحدة الافرنجية قد تختلف مفرداتها في داخلهـا ؛ فشركات النفـط، مثلا، لا تتشاور فيما بينها حين يستدعي الامـر وضع مصطلح جديد ، بل تضع كلّ واحدة منهـا المصطلح الذي يعنّ لهـا للآلـة الواحدة، او الحالة الواحدة، حين تصادفها في اثناء الحفر او التصفيـة أو غير ذلـك .

فـاذا نحن أردنا اتباع قاعدة الاقتباس، فاية لغـة نتبع ، ولكلّ لغـة ، واحيانا لكلّ شركة معجمهـا ؟

أمـا الاشادة بذكاء العرب الغابرين لانهم اقتبسـوا الالفـاظ والمصطلحات ، فمن بـاب الاغراء والتشجيع على الاقتباس الـذي قد يدلّ على اي شيء سوى الذكـاء . فالاقتباس سجيّة جميـع اللغـات ، ولا سيّما القاصرة البدائية منهـا ؛ فكلّما زادت اللغـة إملاقًا وقلّت مقدرةً علـى التعبير، كَثُر اقتباسها من اللغـات الاخرى التي تحتكّ بهـا . (وقد يكون للاقتباس اسباب اخرى غير الفاقـة اللغوية ، لا محلّ لها هنـا).

وقـد تكاثرت المقتبسات في عهـد الترجمة العباسي حقا ، لكـن سبب ذلك على الاغلب ضعف لغـة المترجمين، وضآلة بضاعتهم مـن

العربية ــ وقد كان بعضهم من غير العرب الفصحاء ، فشاعت بسببهم مصطلحات اجنبية لم يعرفوا كيف يترجمونها الى العربية ، مثل : الفلسفة ، والجغرافيا ، والاجرومية ، والارتماطيقا ، والطبوغرافيا ، وكثير غيرها ؛ فحيثما جهل المترجم معنى الكلمة الاعجمية (اغريقية او غيرها) أو لم يَهْتَدِ الى الكلمة العربية المقابلة لها ، أَقْحَمَ الكلمة الاعجمية في ترجمته العربية .

لكن العرب نقّحوا تلك الترجمات فيما بعد ووضعوا الكثير من الالفاظ العربية بدل الاعجمية ، مثل : الحكمة بدل الفلسفة ، وتقويم البلدان بدل الجغرافية ، والحساب بدل الارتماطيقا ...

ولامرٍ ما ثَبُتَ بعض المصطلحات الاعجمية بدل العربية ، مثل الفلسفة ، والاسطرلاب ، والجغرافيا ، والكيمياء ، وغيرها . لكن هذه قليلة اذا هي قيست بالمصطلحات العربية التي لا تحصى في الفلسفة والمنطق والرياضيات والفلك وغيرها .

ولو قد اخذ العلماء العرب عهدئذ كل المصطلحات الاعجمية كما هي من الاغريقية واللاتينية والهندية .. لضاع علينا من لغتنا هذه العربية خير كثير .

ولئن كنت أعاضد (التعريب) وأعارض (الاقتباس) فلست اجهل صعوبة التعريب ، وما زالت الفاظ اعجمية تبحث لنفسها عن صيغ عربية تلابسها ، لانها لم تجد لدى المجامع ولا الجامعات حتى اليوم ما يقابلها من العربية ، وبعضها لن تجد لها ما يقابلها الا بعد زمن طويل .

عُمِلْتُ في مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي (التابع لجامعة الدول العربية) ــ في الرباط ــ اثني عشر عاما ، ومارستُ تعريب المصطلحات في بعض المعاجم ، وكتبت دراسات عن بعضها (دون توقيع) ، فوجدت أن العقبة الكبرى في طريقي هي انني احس بوجود

كلمة عربية تؤدي المعنى المراد بالمصطلح الاجنبي ، لكني لا اتذكرها . اما الكلمات المعجمية التي اعلم انني لا اعرفها فما اوفرها عددا ! وما مرّت بي مناسبة من هذا القبيل الا اشتدّ شعوري بحاجتنا الماسّة الى معجم للمعاني الى جانب هاته المعاجم الكثيرة للألفاظ . فعندما كتبتُ (في مجلة اللسان العربي) دراسة عن معجم (الطيران المدني) ، مثلا ، عُرِضَتْ لي انواع من الغيوم والرياح والتحليق في الطيران والاسفاف فيه ، اعلم ان اسماءها موجودة في العربية،لكني لا اعلم كيف اجدها . كذلك كتبتُ عن المعجم العسكري الموحّد دراسة وجيزة ، تمنّيت في اثناء تحبيرها لو كان تحت يدي معجم للمعاني يتناول كل مفردات الهجوم والدفاع وتقسيم الجحافل والكراديس ، وكل ما يتعلق برتب القادة وغيرهم من جنود وعرفاء وما الى ذلك . ومثل هذا يقال عن معجم النفط ، والجغرافيا ، والتاريخ ، والفلسفة ، وكل معجم يضعه المعرّبون في علم النفس ، والتربية ، والاقتصاد ... فلكل من هذه المعاجم وغيرها من معاجم الاختصاص ذخيرتها المكنوزة في مستودع اللغة العربية الشديد الغنى . لكن كيف نعثر عليها ؟

من فضلك لا تقل لي ارجع الى (مخصَّص) ابن سيدة . انه معجم جليل الشأن حقا ، ومؤلفه الضرير عبقري حقا ــ لكنه قديم، لم تكن اشتات اللغة العربية قد جُمعت عند تأليفه ، في القرن الثالث الهجري ، وخاصة في الاندلس ، وطن المؤلف ؛ فقد ظهرت بعده ، ولا سيما في المشرق ، مفردات كثيرة لا وجود لها فيه . ثم ان القارىء يتوه فيه في تفاصيل لا يحتاج اليها عن كل لفظة ، تفيد الدارس اللغوي لكنها ترهق القارىء المستعجل ، الذي همُّه ان يستعرض الالفاظ الدائرة حول المعنى المطلوب دون دخول في تشعّبات اشتقاقاتها ومختلف معانيها . يضاف الى ذلك ان (المخصص) لا يستوعب كل المواضيع ، فضلا عن ان تبويبه غير عصري ، وفهرسته غير دقيقة ولا واضحة .

ولـــو تيسر لجيلنا معجم للمعاني يجمع كل ما يتعلق بالضوء في مكان ، وكل مـــا يتعلق بالاحلام في مكان آخـــر ، وكل ما يتعلق بالجهاد والنضـال في مكان ثالث ، وكل ما يتعلـــق بالدرس والحصاد في رابـــع وخامس ... لامكننا في معظم الحالات أن نجـــد الكلمة العربية المطلوبة مقابل المصطلح الاعجمي ، بالدقـــة احيانا ، مما سبق للعـــرب أن استعملوه وأودعوه معاجمهـــم ؛ لكننا لا ندري كيف نعثر عليـــه .

أزجـــي بعض الامثلة من معجم صغير ترجُمْته عـــن الانكليزيـــة والفرنسية باسم « معجـــم صيانة الطبيعة » (١) واجهتني فيه مصطلحات اعجمية لا نستعمل اليـــوم في فصحانا مقابلاتها العربية . نذكـــر منهـــا falconry (fauconnerie بالفرنسية) ويشرحهـــا المعجم بقوله إنهـــا « استخدام طيور كاسرة للصيد » . فأيـــة الكلمتين الاوروبيتين نختار اذا أردنـــا الاقتباس بدل التعريب او الترجمة ؟ هـــذا، ولكل لغـــة اوروبية اخرى كلمتها التي تؤدي لاهلها هذا المعنـــى . أفليس الامثل أن نؤثر كلمتنـــا العربية التي استعملها العرب قديمـــا بالفعل لهذا المعنـــي وهي (التَصَقُّر) ؟

ثـــم هناك مصطلح relict (وهو بالفرنسية : relicte) يُعَرِّفه المعجم بأنـــه « نوع أو سلالة من نباتات او حيوانات متخلفـــة من فصيلة سالفة اكبـــر » . فما الداعي الى الاخذ بالمصطلح الاجنبـــي وعندنا في العربية (الخالفة) وهي معجميا « الأمـــة الباقية بعد الأمـــة السالفـــــة » ؟

كذلـــك dust storm (بالفرنسية tempête de pousserie) .. كثيرا ما يستعمل المعاصرون من كتّابنـــا العرب مقابلها (عاصفـــة ترابيـــة) بينما لدينا في العربية كلمة واحدة تؤدي هذا المعنـــى هـــي (السافية) أي « الريح التي تحمل التـــراب » .

---

(١) نشر المعجم بلغته الاوروبيتين مع ترجمته العربية في مجلة (اللسان العربي) . العـــدد (١٢ ـــ ج ١ ـــ ص ٢٠٦) لسنة ١٩٧٢ .

ثـم mass mortality (بالفرنسية mortalité massive)
.. بايـة صيغة اجنبية نقتبسها ؟ بعضهم يترجمونها لفظيـا بكلمتـي (المـوت الجماعي) . ويقول المعجم المذكور بين قوسين (في الروسية مصطلح خاص « زامـور Zamor » للموت الجماعي في الاسماك بسبب عوز الاوكسجين او التسمم) . ومعنى هذا انـه ليس لديهم في الانكليزية والفرنسية كلمـة واحدة تؤدي هذا المعنى لهـم . فمـا الداعي الى اقتباس المصطلح الاجنـب ـ الروسي او غـيره ـ او ترجمته بكلمتين وعندنا في العربية (السَوَاف) ـ زنـة الطَوَاف ـ اي : « المـوت يقع في الابل او الماشية » ؟

مـا علينا الا ان نبحث في لغتنـا فنجد حاجتنا من الالفاظ المعبّرة عما نروم بالدقة او بمـا يقاربها . وسنجد انها في كثير من الاحيـان اغنـى حتـى في المصطلحات ، وادق من الاجنبية . مـن ذلـك مثـلا eulitteral (بالفرنسيـة Zone eulittrale) ، يعرّفها المعجم بانها « المنطقة تُغْرَق دوريًا لوقوعها بين حـدود تَغَيُّر مستوى المـاء »،اي تقع بين مستوى صعود المـدّ او الفيضان وهبوطهما . بينما هذه الكلمـة الاجنبية لا تؤدي كل هذا في لغتهم ، وانما هـي تعني لغويا عندهـم (الساحلي) فحسب . وما كـل أرض ساحلية يصيبها الغرق دوريا على هذا النحـو ، لكنهم استعملوها لانهم لـم يجدوا في لغاتهم كلمة واحدة تؤدي هـذا المعنى الطويل . فهنا لم (أترجم) لفـظ المصطلح المغاير لمعناه اللغوي بكلمـة (الساحلي) او ما يماثلها ، بـل (عَرَّبتُه)،اي وضعت مقابله الكلمة العربيـة التي تؤدي بالدقة هذا المعنى ، وهي (الرَقَّة) ـ زنـة البَطّة ـ ومن معانيها : « الارض يغمرها المـاء وينضب عنها » على تعبير المعجم ؛ وهي مستعملـة في الدارجة العراقية ايضا بهذا المعنـى ، وربما في دارجات اخريات كذلك .

على ان ثمـة مفردات عربية كثيرة أعرفها لكني لا اتذكرها عنـد الحاجة اليها . واكثر مما اتذكـر او لا اتذكر من المفردات التي اعرفها ، هي المفردات التي لا اعرفهـا . فهنا تتجلى من جديد فائدة معجـم

للمعاني ، عصري ، يُتِمُّ فيه جَرْد كلّ معاجمنا العربية وكتب اللغة المعتمدة ، وفرزها بحسب معانيها ، ليقدّمها لنا مصنفة مبوبة مفهرسة ؛ وما علينا عندئذ ، حين يجابهنا مصطلح اجنبي لا يحضرنا مقابله العربي ، الا ان نفتح معجمنا ذلك على الباب المطلوب . حتى اذا لم نجد المعنى المروم بذاته جاهزا ، فان مفردات المعاني المتصلة به او القريبة منه، تساعدنا على صياغة المصطلح العربي بالصورة التي تلائمنا وتفي بحاجتنا . وفي هذا مساعفة، اية مساعفة، للمشتغلين بالتعريب ، تقفز بحركة التعريب ووضع المصطلحات قفزة كبيرة الى امام والى اعلى ، في هذه الفترة التي يجتاز فيها وطننا العربي ازمة تعريب ، ونهضة تعريب ، معا . وعندئذ يتيسر العمل حتى لغير اللغويين من المشتغلين في هذا المضمار .

هذا المعجم ــ حَلّال المشاكل التعريبية ــ موجود ، لكنه غير مطبوع ، كان قد أَلّفه اللغوي الذي يكاد يكون مجهولا في هذا الجيل ، وهو المرحوم سالم خليل رزق ، منذ عام ١٩٣٣ ، بعد ان عمل فيه أكثر من عشرين عاما . ثم فارق هذه الدنيا ولم تكتحل عيناه برؤية انجازته تؤدي وظيفتها في خدمة هذه اللغة التي أَحَبَّها وهام بها ، بدليل انه بذل كل هذا الجهد الشاقّ في سبيلها ، وبدليل تسمية معجمه (لآلىء العرب) .

كمثال بسيط اذكر ان من يعمل في تعريب المصطلحات ــ ولا سيما من غير اللغويين المتبحرين في العربية ــ قد يتحيّر اذا جابهته بالانكليزية كلمات تعني الكتابة ، وقد ورد كل منها في معنى اصطلاحي خاص، مثل :

putting down, graph, scription, writing, booking, recording, ... فاذا لم يكن ممن يعرف الى جانب (الكتابة) : التسطير ، والتحبير ، والتدبيج ، والتحرير ، والتسجيل ، والتدوين ، والتقييد ... فما عليه الا ان يفتح (لآلى العرب) في الباب المختص ليجد امامه

اكثر من ثلاثين كلمة تعنـي الكتابة بمختلف انواعها ، وبضمنهـا الكلمـات الآنفـة (٢) .

• • •

لكنـي لا اناصر التعريب بسبب ما تقدم فقط من ثـراء العربيـة وقدرتها على الاكتفاء بنفسهـا ، ولا لانها كانت الإمام والقدوة فـي المصطلحات العلمية إبّـان ازدهارها حضارةً وثقافـةً ، ولا اعتزازا قوميا ، ولكن بدافـع علمي خالص ، عالميّ ، أيضـا .

ذلـك بانـي صرت اعتقد ــ بعد طول تأمل في هذه العربيـة ومقارنة لها مع غيرها ــ انها هي أم اللغـات الآريات ، بالاضافـة الى الساميّات والحاميّات ، كمـا اعلنتُ مرارا ؛ بـل انها أم لغات اخريات ايضا لم يتيسّر لـي بعد إعداد دراسات وافية عنهـا . وجدت في الانكليزية مثلا ان كلمـة river (نهـر) يعود رسّها (= جذرهـا الصوتي) الى قـول العربي الاقدم (هو ووو) محاكاة لصوت هبـوب الريح ، وان two (اثنين) تعود الى قوله (طو) محاكيا صـوت انكسار الغصن ، وان logic (منطق) ترجع الى قول الطفـل العربي (لغ لغ لغ) ، وان (sonata) نوع من المعزوفات) ترجـع الى قول الفروج العربي (صو صو صو) (٣) ... ولا يقتصر هـذا على الانكليزية طبعا،فهـو ينطبق على الآريات بوجه عـام وبعض لغات اخريات كالذي مـرّ التنويه بـه .

معنـى هذا ان اللغويين الاوروبيين لا بـدّ لهـم من درس العربية باصولها وفروعها ليتعرفوا على المنشـا الذي انبثقت منه مفـردات لغاتهم ؛ لانها ــ اي العربية ــ ما زالت نقيـة تحتفظ وحدها بـين

---

(٢) من حسن الحظ ان وزارة الثقافة والاعلام العراقية قد اخذت علـى عاتقها ، برعاية السيد رئيس الجمهورية ، نشر هـذا المعجم .

(٣) فصّلنا ذلك وامثاله في كتابنا « مغامرات لغوية » .

اللغـــات الراقية بالكثير من الجذور اللغويـــة الاولى التي ضاعت من جميع بناتها الساميّات والحاميّات والآريـّـات .

والمصطلحـــات الأجنبية الوفيرة التي اخذت تنهمر علينـــا ــ اذا اقتبسناها بدلا من تعريبهـــا ــ افسدت نقـــاء هذه العربية ، وعكّرت صفو معاجمها ، خَلْطًا بين دخيل واثيـــل .

الاقتبـــاس أسرع طريقة فعلا واسهلها لتوسيع اللغـــة ، لكـــنْ لتضييع اصالتها ايضـــا ؟ فالانكليزية اليوم اغنى لغـــات الارض،لانها دابت على اختطاف كـــل مصطلح أو لفـــظ اجنبي يعرض لهـــا ، دون أن تحاول اشتقاق صيغة لهـــا من مفرداتها ، حتى غدت أوفـــر اللغات ثروة،واوفاها بحاجـــة الانسان والباحث المعاصر . لكنها ــ كلفـــة ــ من افقـــر اللغات ايضا اذا بحثنا فيها عن المفردات الانكليزية الاثيلـــة . وليس ثمة لغـــة انكليزية في الحقيقة ، لانها كلها خليط من اللغـــة المحلية (الولزية) والسكسونية (الجرمانية) والفرنسية والاسكتلندية ولغـــات اوروبيات اخريات . ثـــم جاء عهد الاقتباس ــ الاستعماري ــ مـــن كل لغـــات الناس .

* * *

المصطلحـــات التي اجدني مترددا بين تعريبها واقتباسها هي التي يرجع لفظها الآري الى رس عربـــي . اذكر من امثالها ما يأتـــي :

تلفزيـــــون :

وهـــي اهـــم الكلمات الاعجمية ، العربية الاثل ، التي تواجهنـــا الآن ، لشيوعها في كـــل اقطار الوطن العربي . وكنت اقترحت لفظـــة (المِشْواف) تعريبا وترجمةً لاسم هذا الجهـــاز (television) المركب من vision (رؤيـــة) و tele (من بعيد) . أمـــا (المشواف) فمن التشوّف الى الشيء،اي التطلع اليـــه ؛ و (الشَّواف) من الناس : الحديد البصر ، والشَّيفة (زِنَـــة السيدة) والشيفان (زنـــة

السيّدان) : طليعة القوم الذي (يشناف) لهـم ، اي يستطلع حركات العـدو . فمعنى (المِشْواف) مطابق لمعنى (التلفزيون)،اي الرؤيـة من بعيد ، او بالاحرى اداة الرؤية من بعيـد ، وهي ادق واصوب . وقـد استحسن اللفظة غير قليلين ، واستعملوها في اكاتيبهم ، لكنهـم غير كثيرين ايضـا .

غـير ان صيغة (التلفزيون) هي الجارية على الالسن في كـل مكان ، وبعضهم صار يشتقّ منهـا ، فاطلقوا (التلفاز) على الجهـاز، و (التلفزة) على فـن البث منه ، و (تُلفَزْت) المسرحية : اعددتهـا للاذاعة بالتلفاز ، فهي (متلفَـزَة) .

ويرجـع مصطلح التلفزيون (television) ، فيما يخيّل لـي، الى اثل عربي قديم . امـا tele فلعلها من قول العربي تلى فلانٌ : تخلف .. وتلى فلانًا : سبَقَه وتَقَدَّمه .. وتـلا بعد قومه : تأخر وبقي .. واتلاه : سبقه او اخّره . واصل المعنى تـلاه : تبعه . وهذا ينـمّ عن قابلية الكلمة للتطور والانحراف عن معانيهـا ، شـان الكثير من الالفاظ العربية . ثـم ان كثرة ما نجده من الالفـاظ العربية متسربةً من اللغات الاعجمية،تدعونا الـى البحث في العربية عن اثول الالفاظ الآريـة التي لا يعرفون لها اثلا في اللغات الاخريـات . لهذا لا نستبعـد ان تكون (tele) هذه التي تعني البعـد ، منحدرة من فعل (تلـى) بمعنى التخلّف والتاخر عن القوم ، لشدة اتصاله بمعنى البعد عنهـم . والمسافة بين هذين المعنيين اقرب مما بين المعنى الاصلي (الاتبـاع) والمعاني المتفرعة منه ولا سيما (السبق) ـ المناقض للاتباع ـ فـي العربيـة نفسهـا .

واما (vision) بمعنى الرؤية فاثلها من اللاتينية . وهـي من (viso) اي وجـه ، بالايطالية . ومرادفها (face) ينطـق (فاچـه) بالجيم المثلثة . وهذه صلتها بصيغة (وجـه) العربية أوضح من ان تطلب ايضاحا . ومن viso او نحوها صيغت (visit)

بمعنى الزيارة . والصلة بين الزيارة والوجـــه نجدها في العربية ايضـــا ، حيث اشتقوا من الوجـــه (المواجهة) بمعنى الملاقاة،والزيارة عنـــد المحدثين . اما المعجـــم فيقول ان (المواجهة) تعني اللقاء وجها لوجـــه . و وجّـــه (بالتشديد) الى فلان : ذهب اليـــه (وهذا يعني زاره بطبيعة الحـــــال) .

فعلـــى هذا يكون (التلفزيون) بشقيه (tele vision) من العربية اثـــلا . وسؤالي هو : هل نقتبس هذه الكلمة كرامة لنسبهـــا العربي العريق ، ام نعرّبها .. بالشّواف او غـــيره ؟

سوناتـــــا :

لهـــا معناها الموسيقي العالمي المعروف . ويرجـــع رسّهـــــا (جذرها الصوتي) الـــى حكاية صوت الفرّوج (صو صو صو) الـــذي منه قال العرب صأى الفرخ : اي صات . ومنـــه اشتقوا : صاء ، ثـــم صاح ، ثـــم صات وصوّت .. ومن (الصوت) تظهر في الانكليزيـــة shout sound . ومن قبل ظهرت في اللاتينية بصـــورة sonitum sono . ومن هذه الاخيرة صيغت سوناتا sonata

جيولوجيـــــا :

هـــي بالانكليزية geology ، مركبة من الكلمتين الاغريقيتين : gé) (أرض) و logia (كـــلام) التي الحقوها ببعض الاسماء بمعنى (العلم) ؛ فيكون من مصطلحنـــا هذا : (علـــم الارض) ، وقد عرّبوه بـــ (علم طبقات الارض) . وكنت شخصيا اطلقت على هـــذا العلم اسم (الأرْضانيّات) قياسا علـــى (الأحيائيّات) بمعنى علـــم الاحياء . والنسبة الى الارضانيات (ارضاني) فنقول المســـح الارضاني، والعهود الارضانية؛بمعنى المســـح الجيولوجي والعهود الجيولوجيـــة ،،

ان كلمة (logy) المنحدرة من الاغريقية لوغيا : logia) اي الكلام ، ترجع بأثلها العربي الى (لغـــة) .

واما gé فتعني بالاغريقية الارض ، كما تقدم . وتقول المعاجم التأثيلية ان الاسم الاقدم للأرض في الاغريقية هو (gaia) .. وهنا نتذكر في العربية (الكاع) اي الارض ايضا ، بالنطق البدوي والعراقي ، والدارج في اقطار المعربة (الجزيرة العربية) بوجه عام . و (الكاع) فصيحها (القاع) وهو معجميًّا : الارض السهلة المستوية ، على حين ان صيغة (الكاع) في الدارجات العربية يعني كما في الاغريقية الارض اطلاقا دون تحديد ، وهو المعنى العربي الاقدم فيما نعتقد . وربما كانت صيغة (قيعة) اقرب الى الاغريقية (gé) ، وقد وردت في الآية « كسراب بقيْعة يحسبه الظمآن ماء » اي كسراب بأرض . لهذا لا اجدني اتفق مع المعاجم التي تعتبر (القيعة) صيغة جمع فقط للقاع ، بينما وردت في هذه الآية بمعنى الارض الفردة ؛ وليس من المعقول ان يكون معنى الآية : « كسراب (باراضٍ) يحسبه الظمآن ماء » .

ثم هناك (القاعة) وهي مجمعيا : ساحة الدار ، لكنها كانت تعني الارض بعامة ايضا،فيما ارى ؛ اي ان صيغة (القاعة) المؤنثة ترادف (القاع) المذكر ، مثل مرادفة الماءة للماء،او النجمة للنجم، والليلة لليل .

لهذا يغلب على الظن ان (gé) اثلها (قيعة) و (gaia) اثلها (قاعة) — بمعنى واحد . اي ان الكلمة العربية دخلت الاغريقية بصيغتيها .

واما نطق القاف كافا مخففا فعادة عربية قديمة ؛ وقد جاء الاسلام وقريش وحدها تنطق القاف قافا قرآنيا،كما لا تزال تنطقه بعض الدارجات متخلفا من القبائل القرشية ومن تأثيرها . اما سائر القبائل العربية فكانت وما زالت تنطقه كافا خفيفا . (وبعض الدارجات تنطقه جيما او همزة) ..

فعلى هذا وذاك تكون الجيولوجيا : geology (المؤلفة اثلا من (كيه : gé) و (لوغيا : logia) كلمة اعربية (= عربية قدمى) اثيلة بمادتها، اعجمية بصيغتها . وهي كلمة اخرى أجدني مترددا بين اقتباسها بثوبها هذا الاوروبي وتعريبها بصيغة الارضانيات، التي كنت اقترحتها واستعملها بعض اللغويين .

تلفون :

هذه الكلمة الاجنبية قاومت مدة طويلة بعد انقراض زميلاتها الاخريات مثل (تلغراف : telegraph) الذي صار يدعى (برقية) و (غرامافون : gramaphon) الذي عُرِّبَ بصيغة : حاكٍ .

بالرغم من أن بعض الاقطار العربية عرّبت (التلفون) باسم (الهاتف) بقيت أقطار أخرى محتفظة باسمه هذا الفرنجي، واشتقت منه (تَلْفَنَ يَتَلْفِن) ؛ على حين أن (الهاتف) بالرغم من عروبته لا يصاغ منه (هتفت لفلان) بمعنى تلفنت . كما أن تسميته العربية هذه تعوزها الدقة اللغوية ، فمن حقه أن يدعى (مهتوفا به) ، أما (الهاتف) فالانسان المتكلم بالجهاز لا الجهاز نفسه . وكان الصواب أن تؤخذ له احدى صيغ اسم الآلة : مِهتاف ، مِهْتَف ، مِهْتَفة ، هاتوف ! . .

لكن صيغة (الهاتف) هذه المغلوطة معنى ومبنى ، طفقت تطارد (التلفون) من قطر الى قطر ، الى ان تبنّاها الاكثرون، حتى في العراق الذي بقي حينا من الدهر متمسكا باللفظة الاجنبية . واحسب ان هذا سيكون مصيره في بقية ارجاء الوطن العربي .

و (التلفون : telephon) مركب، كما هو معلوم، من (tele) التي سبق لنا تأثيلها و (phon) : صوت ، التي يخيل لنا أن اثلها الاعربي (= العربي الاقدم) هو (الفوه) أي الفم، الذي تنطقه الدارجة المغربية بالضم (فم) وبعضهم يمدّه على عادة

المغاربة في مـد بعض الحركات : (نوم) .. وهي ظاهرة نطقيـة متخلّفة من عـادة اعربية لبعض القبائل القُدْمى . وقد استعملت العرب (الفوه) بمعنى الكلام في قولهم،فـاه يفوه فَوْهًا ، اي نطق .. وتفاوَهُ القـوم : تكلّموا . وليس بمستبعد ان تكون (فون : phon) تحريفا يسيرا من (الفوه) بالضم : فـم ، أو (الفَوه) بالفتح : مصدر فعل "فـاه يفوه" ، اي ينطق .

تكنولوجيـا :

technology .. امـا (لوجي logy) فقد تحدثنا عنها ، وامـا (تكنـو : techno) فأصلها الاغريقي (تخنـه : techné) اي الفـن . واصلها العربي هو (التِّقْن) زنة الفِكْر ، اي الطبع،في مثل قولهم:« الفصاحة مِنْ تِقْنِـه،اي من طبعه »،فهي على هذا تعني الملكة والفطرة ــ اي الموهبة او ما اليها . وهي من (الاتقان) : الإحكام . والرجل (التِّقِن) زنـة الشَّرِس ، هو « المتقن للأشياء،الحاذق فـي العمـل » .

اذن فـ (التكنولوجيا) ايضا عربية اصـلا . ولكن اذا اخذنا بها فـلا ينبغي ان نفرّط بصيغة (التِّقْنِيّات) و (التِّقْن) وانمـا نقتصر في استعمال (التكنولوجيا) على المُواطـن التي لا تفي (التقنيات) بالتعبير الدقيق عنها ، فيمـا اذا جابهتنا مثل هذه المواطـن .

بنزيـن :

هـذه الكلمة الاعجمية ترجع كذلك الى اصـل عربي ، لكنها غير خالصة النسب في العروبة ولا هي قديمة ، ولا صلة لمعناها الحالـي بمعناها الاصلي . فهي من مولّدات العهـد الاسلامي اولاً،ومنحوتة من كلمة عربية واخرى اعجمية،ثانيا . وذلك الاثل هو (لبان جاوة) وهـو نوع من الصمغ العطر كان يجلبه التجار العـرب من (جاوة) الى أوروبا ، ولا علاقة لـه بالبنزين المستعمل وقودا للسيارات ونحوها . لكـن

الفرنسيين سموه (بنجوان : benjoin) بعد حذف لام (لبان) ظنًّا منهم فيما يظهر، انـه لام التعريف (في لغتهم) . وعنهم اخذه الانكليز بنفس الكتابة (benjoin) لكنهم نطقوه على طريقتهم (بنجوين) ، ثـم جعلوه (بنزوين : benzoin) . ثـم تطور معناه ايضا حتى صـار (بنزين : benzin) .

جغرافيـــا :

امـا هذه فلا مجال الآن لمناقشة الاحتفـاظ بصورتها الاغريقية هذه او تعريبها بلفـظ عربي مبين ، لانها شاعت وفرضت نفسهـا بالرغم من ان العـرب سبق أن عرّبوها باسم (تقويم البلدان) ثـم اختصروها الى بلدانيـات .

وهـي من الاغريقية (gé : ارض + graph : كتابة) أي علـم الكتابة عن الارض .

امـا (كيه : gé) فقد أتلناها عند كلامنا عـن (الجيولوجيا) ، وامـا (كراف : graph) بمعنى الكتابة فيخيل لنـا انها من العربيـة ايضـا .

ذلـك بأن العرب قالت خرفش شيئا : خَلَّطه (بالتشديد) ،وهي من قولهم خربش الكتـاب (أي المكتوب) : افسده . وهذا المعنـى مستحدث في الكلمة،سبقه معنى التقريب في الكتابة بين الكلمات والسطور، الذي عدوه إفسادا بالقياس الى المباعدة بينهـا تَطَلُّبًا للوضوح والرفاهة . وهذا المعنى المضاع من الكلمة نجـده في قولهم:قَرْمَدَ كتابا : كتبه دقيقا وقارب بين سطوره ، ؛ وبنفس المعنى قالـوا:قَرْمَط الكتاب . ومـن هذه الفصيلة قولهم،حَرْفَصَ في المشي : قارب خطاه ، وفي الكلام : قاربه . واصل المعنى في كل هذا هـو الافساد ، في لفظ (خربش) المشتق مـن (خَرَّب) . وعند انتقال المعنى الى الكتابة صار يعنـي التقريب بين الكلمات والسطور، باعتبار ذلك نوعـا من الافساد . وليس ببعيد أن

فكـون graph الاغريقية بمعنى الكتابة تحريفا تطوريا لكلمـة (خرفش) أو (خرَّب)،بمعنى الكتابة المتقاربة أولا،ثـم الكتابة مطلقا . وقد رأينا أن التحريف كان أكبـر في كلتا الكلمتين لفظا ومعنى في داخـل العربيـة الأم .

فاصطلاح (الجغرافيا) هذا الذائع على الالسنة ، الراسخ فـي المدونـات العربية ، لم يعـد في الامكان تعريبه،اي استبدال لفظـة عربية بـه ، حتى لو قرّرنا طرد امثاله من المصطلحات الاجنبية التـي يرجع نسبها البعيد الى العربيـة .

فونوغـراف :

وقـد وردت بصيغتي (phonograph) و(gramophon) ، وكلتاهما تتألف من مادتـي phon (صوت) و (graph) (كتابة) اللتين تقدّم تأثيلهما ـ بمعنى تسجيل الصوت . أمـا هذا المصطلح فقد انقرض مذ شاع بدله (الحاكي) ، ولم نعـد نقرأ لاحد تعبير (الفونوغراف) أو (الغرامافون)،كمـا انقرض (التلغـراف : telegraph) الذي حَلّت محلّـه (البرقية) . ولم يعـد بالامكان احياؤه حتى لـو اردنا ؛ اي انـه اصبح (معرَّبا) بالمعنى الحديث للتعريب ، وشانـه عكس شأن (الجغرافيا) مثلا ـ المعرّبة بالمعنى القديـم .

علـى أن الانكليزية ايضا اهملت المصطلح بصيغتيه،وصارت تدعو الحاكي الحديث باسم (بيك اب : pick-up) الذي شاع في الدارجات العربية ولغـات أخرى .

متـر :

مَتَرْت الحبل : مددتـه . ومعلوم انهم كانوا يقيسون مساحـات الاراضي بالحبـل ، ومن هنا نشأ (المتـر : meter) وفعـل (measure) اي يقيس طولا او ثقـلا أو حجما أو اي شيء ـ في الفرنسية والانكليزية عن طريق اللاتينيـة .

و (المتـــر) ايضا اصبحت عربية ، بل عالمية ، ولم يعـــد بالامكان الاستبدال بها ، لـــو اردنا .

* * *

لا حاجة بـــي ــ بعد الذي تَقَدَّم ــ الى اعادة القول إنـــي من انصار التعريب ، ضد اقتباس الالفاظ الاعجمية المحض . لكن تساؤلي هو كما قلت : ما هو موقفي من هـــذه الاسماء الاجنبية التي يكشف لنـــا التأثيل عن محتـــدٍ لها في العربية عريق ؟ هل نرفضهـــا ؟

أم نقبلهـــا ، لا اقول مباهاة بها بين الأمـــم ، لكن اعزازا لها ، وتكرمة لنسبها العربـــي ، وتدليلا علميًّا على امومة العربية لكثير مـــن اللغـــــات ؟

فهـــذا الامر الذي لا ازال ارانـــي مترددا فيـــه .

عبد الحق فاضل